الفصل السابع

إدارات الصحف

في بداية عهد الصحف في أوربا ومصر والشرق، كانت الصحف ملكا لأصحابها، وكان صاحب الجريدة هو « الكل في الكل : كان هو المحرر والمترجم والطابع والبائع والمدير والمحاسب. ولا تزال في لبنان وسوريا أسر تقوم بذلك، فيكون الزوج وزوجته وأولاده هم أسرة الجريدة، فيصفون الحرف ويديرون آلة الطباعة ويقيدون الحسابات إلى جانب التحرير والترجمة.

ومما يلاحظ أن الكثير من الصحف قد بدأ عن طريق المطبعة، فانشئت المطبعة في بداية الأمر ثم رأى صاحبها أن يوجد لها مطبوعات بينها جريدة أو مجلة يصدرها.

أما كبريات الصحف والمجلات فقد أصبحت تنظمها دور كبيرة ذات إدارات واسعة كالحكومات، بها أقسام إدارية وتحريرية. ففي الادارية : مكاتب الاعلانات العامة، والاعلانات المبوبة،

والاختزال والاشتراكات ، والتوزيع والبيـــع ، والحسابات ، والمستخدمين ، والعمال ، عدا آلات صف الحروف والطباعة ، وقسم الهندسة والرسم .

وفى أقسام التحرير : مدير السياســـة ، ورئيس التحرير ، ونائب رئيس التحرير ، ومساعد سكرتير التحرير ، ومحررو المقالات ، ومحررو الروايات ، ومحررو الصفحات الأدبية ، ومحررو الشئون المالية ، والمندوبون البرلمانيون ، والمترجمون على اختلاف أنواعهم ، والمصورون العاديون والكاريكاتيريون . وقد يتعدد رؤساء التحرير ، فللشئون الداخلية رئيس ، وللخارجية مثله وهكذا .

وكانت الصحف تستأجر دوراً فأصبح للكثير منها دورها ، كجرائد الأهرام والمقطم والهلال والجورنال ديجيبت وأخبار اليوم وآخر ساعة ، والمصرى ، والبلاغ ، والصباح ، والبصير .

وأصبح لكل من الأهرام والمقطم ومجلة دار الهلال شركة أكثرها من أصحابها أو ورثتهم .

وكان لجريدة المؤيد لمؤسسها شيخ الصحافة الأول المغفور له السيد على يوسف باشا دار عليها لوحة « دار المؤيد » بشارع محمد على بالقاهرة ، وقد استحالت شركة فى آخر أيامها .

وكان صف الحروف وادارة آلة الطباعة يجرى بأيدى العمال .

فأصبح لكل منها آلة تدار بالكهرباء . ولاتزال هذه الآلات مطردة التحسين .

وفى دور الصحف الأوروبية والأمريكية قاعات كبيرة ذات مناضد يجلس إليها المحررون وأمام كل منهم « آلة الكتابة » والتليفون ، واللاسلكى ، وقد يوجد المئات من العاملين معا دون أن تسمع ضجيجاً أو همساً .

وترسل « أصول الجريدة » من مكتب المحرر الذى يكتبها على الآلة داخل أنبوبة إلى المطبعة فتصف فى الحال .

openkandil.com

تحول الصحف إلى شركات

وتطور الحال حتى أصبحت الصحف تجارة ، يقصد منها توظيف المال من أجل الربح ، وأصابها مايصيب كل تجارة من عوامل الكسب والخسارة . واستغلت الصحافة على وجهين : الأول انه نظر اليها كاداة لترويج منتجات الشركات والثانى أن تصبح هى شركات بذاتها .

وحسبنا أن نذكر أن صحف المرحوم اللورد نورثكليف فى انجلترا قد استحالت الى شركة تضامن ثم انتهت الى شركة مساهمة رأس مالها ثلاثة ملايين من الجنيهات . وما كادت أسهم هذه الشركة تطرح فى السوق حتى بلغ رأس المال الذى اكتتب به خمسة وعشرين مليون جنيه ، وذلك فى مدة ربع ساعة فقط حتى اضطر أصحاب المشروع أن يقفلوا باب الاكتتاب بعد فتحه بربع ساعة .

وكانت معظم أسهم شركة نورثكليف بيد اللورد روذرمير شقيق المرحوم اللورد نورثكليف ، وقد نشر فى جريدته «الديلى مايل» يومئذ مقالة أشار فيها إلى المشروع الجديد فقال : ان الذين عندهم المام فى بمقتضيات الصحافة البريطانية قد كانوا يشعرون منذ عهد قريب ان صحافة الارياف فى انجلترا ليست فى المستوى الراقى الذى هى فيه صحافة المدن الكبيرة ، وان هذا نقص يجب تلافيه

لمصلحة الأمة نفسها . فالصحف التى تصـــدر فى القرى ويدعمها رأسمال قوى ونظام واف هى قليلة جدا وقلما تجد بينها صحفا تنشر أنباء العالم وصور الحوادث المهمة . من أجل هذا بات الكثيرون من أصحاب الصحف الفردية يخشون على مستقبل الصحافة بسبب تلك الشركات ، لأن الصحف المتصلة بها هى فى الواقع مشروعات مالية قبل كل شىء ، مع ان الصحف وجدت فى الأصل للدفاع عن مبادىء معينة ولاذاعة الأنباء بين طبقات الأمة .

وتلى شركة صحف نورثكليف شركة أخرى لا تقل عنها شأنا وهى نقابة « برى وأخيه » أى الصحف التى يمتلكها السير وليم برى وأخوه وفى مقدمتها جريدتا المورننج بوست سابقا والديلى تلغراف وهما من أشهر الصحف الانجليزية . وقد كانت جريدة الوستمنستر غازيت من أشهر تلك الصحف ولكنها ادمجت فى جريدة الديلى نيوز .

وقد نشرت جريدة سبكتاتور الانجليزية مقالة فى هذا الشأن جاء فيها : « ان تحويل الصحف الانجليزية إلى شركات ليس عرضا جديدا من أعراض الصحافة فى انجلترا بل هو يرجع إلى بعض سنوات مضت ، ولكنه قد ازداد وضوحا وبسرعة منذ الحرب العظمى الأولى . والأرجح انه سيكون من أخطر المشاكل

التى ستواجه الديمقراطية فى هذه البلاد (يعنى انجلترا) . وفى الواقع ان ما هو حادث اليوم بيننا قد حدث فى الولايات المتحدة أيضا لأن الصحافة هنالك ، نظرا لاتساع البلاد ، ليست خاضعة لنيويورك خضوع الصحافة الانجليزية للندن . وإذا كان لابد للصحف من اعتبارها مشروعات مالية قبل كل شىء فمن الصعب جدا ان نجتنب تحولها إلى شركات ، وليس ثمة حل لهذه المشكلة فى الوقت الحاضر ولا يسعنا الا الاعراب عن مزيد تخوفنا عندما نقابل الصحافة البريطانية الحاضرة بما كانت عليه منذ خمسين عاما . فالصحف الناجحة التى يمتلكها أفراد قد أصبحت نادرة جدا لأن النفقات التى تقتضيها تلك الصحف عظيمة جدا تكاد تخرج عن طاقة الافراد ويكاد أكابر الأغنياء يعجزون عن تقديم كل ما تتطلبه الصحف من النفقات . وفى الواقع أن الصحافة فى الوقت الحاضر ليست بالمورد الذى كان الناس يظنونها اياه فى السنين الماضية .

« وليس غرضنا التحامل على الشركات التى تملك الصحف البريطانية ولا نحن نرمى إلى انتقاد تلك الادارات ، وانما نحن نتكلم عن نظام الشركات الصحافية بوجه الاجمال ، وهو النظام الذى ظهر فى انجلترا فى العقد الأخير من القرن الماضى ولا يزال مستمرا بثبات ، وقد ظهر على أشده فى السنوات الأخيرة . ولا شك فى

أننا إذا نظرنا إلى مصلحة الجمهور رأينا نشوء الشركات الصحافية فى مصلحته ، لأن ما تستطيع النقابات نشره من الأخبار تعجز عنه جرائد الأفراد . ولكن للمسألة وجها آخر وهو أن الأنباء والمعلومات والاراء التى تجمعها الشركات وتذيعها على نطاق واسع وبطريقة تكاد تكون ميكانيكية ليست لها القيمة الأدبية التى للآراء التى يذيعها أصحاب الجرائد الفردية والتى يعبرون بها عما يعتقدونه باخلاص تام . نعم قد تكون أراء صاحب الجريدة ومعتقداته خطأ ولكن لها مزية لاتجدها فى غيرها وهى أنها صادرة عن عقيدة واخلاص .

وإذا نظرنا إلى التايمز والمانشستر جارديان والسكوتسمان والآيرش تيمس وأمثالها من الجرائد غير الخاضعة للشركات ، رأيناها أحسن مثال للصحافة البريطانية الراقية لأنها تحافظ على أمجد تقاليد تلك الصحافة. والأرجح أن الذى حال دون اندماج جريدة التايمز فى إحدى الشركات الصحافية هو عزة الماجور استور ورفاقه وشدة أخلاصهم للمبدأ الصحافى وعلمهم بما لهم من النفوذ فى الشعب الانجليزى بأسره . فهم يرون أن الصحف انما وجدت لبث الآراء والمبادىء قبل الأنباء فهى مشروعات أدبية بقدر ما هى مشروعات مالية ، فلا يجوز المتاجرة بها كانها سلع تباع وتشترى ولا يجوز أن

تنتقل من يد إلى يد كأنها فى سوق المزاد .

وقد أوضحنا قبلا الاتجاه الجديد فى الصحافة المصرية بأن تصبح شركات كبيرة .

طبعات متعددة فى اليوم الواحد

تعمد كبريات الصحف فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا إلى إصدار طبعات متعددة متتالية من أعدادها فى اليوم الواحد . ولا تمتاز كل طبعة عن سابقتها إلا فى ناحية من الأخبار الهامة . وحسبنا أن نذكر من أمثال هذه الأهمية ، أخبار الانتخاب ، ومباريات المصارعة أو الملاكمة أو سباق الجياد ، أو سباق القوارب السنوى بين طلبة جامعة اكسفورد وبين طلبة جامعة كمبردج على نهر التيمس ، وأنباء الحرب ، وأنباء مؤتمرات الصلح ، وأنباء الحرائق ، أو الزلازل أو ثورة البراكين أو فيضان نهرى هائل . ففى كل طبعة يذكر كل جديد من هذه الأنباء ساعة فساعة .